السَّيِّدَةُ
مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ

أم ولـد إبراهيـم عليـه السلام إبن النبى
صلى الله عليـه وآله وسلم

جمع مادة الكتاب

السيد / محمد على صالح قزنى
غفر الله تعالى له

الناشر : دار جوامع الكلم - جمهورية مصر العربية
القاهرة - الدراسة
١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - ت : ٠٢٩٠٢٥٨٩٨٠

السيدة

مارية القبطية

رضى الله تعالى عنها

أم ولد إبراهيم عليه السلام

ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

للسيد / محمد على صالح قزنى

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة

تليفون : ٢٥٨٩٨٠٢٩

٢٠٠٨/٢٢٣١٩

الترقيم الدولي

977 - 418 - 681 - X

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العظيم ، اختار لرسوله الكريم زوجاته الطيبات وسراريه الطاهرات .

ونصلى ونسلم على أشرف الخلق القائل إن الله تعالى اختارنى واختار لى أصحابى وزوجاته وسراريه من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ورضى الله تعالى عنهن ..

أما بعد ..

فإن الله سبحانه وله الفضل والمنة علينا أن وفقنا إلى جمع وتأليف ما تيسر لنا من موضوعات هذا الكتاب صغير الحجم كبير الفائدة .

وإذ كانت حبيبات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كتب الكثيرون عن تاريخهم ذاكرين فضلهم وأفضالهم فإن السيدة الفضلى مارية المصرية لم يكن لها الحظ في الكتابة عنها مثل الآخريات الكريمات .

هذا ما دعانا إلى أن ندلى بدلونا بين دلاء علمائنا الأفاضل فنقدم هذا المؤلَّف نستعرض فيه ما تيسر لنا جمعه من بطون المراجع الإسلامية عن هذه السيدة العظيمة رضى الله تعالى عنها أم ولد إبراهيم عليه السلام ابن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتى جمعت من الفضائل أربعا :

١) الإسلام . ٢) الصحبة .

٣) تسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها.

٤) ولادتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنه إبراهيم عليه السلام .. فقد جمعت الفضل من جوانبه وحازت الشرف من كل نواحيه ..

اللهم يا سامع النداء يا مجيب الدعاء انفع بكتابى هذا

كل من قرأه واجعله ثقلا فى ميزان حسناتى وحسنات قارئه وكل من بذل فيه جهدا واجعله من العمل المنتفع به بعد الوفـاة .

واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويفعلون فيخلصون ويخلصون فيُقبَلون ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

وسلام على المرسلين وآلهم الطيبين

والحمد لله رب العالمين ،،

المؤلف

قال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ « سورة المائدة »

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أنكم ستفتحون أرضا يُذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحماً »

صحيح مسلم

هدية من مصر:

غير بعيد من بيت النبى ، فى منزل خاص بعوالى المدينة ، كانت تقيم سَرِيَّةٌ للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم تحظ بلقب أم المؤمنين ، ولكنها حظيت دونهن جميعا بنعمة أمومتها لابنه إبراهيم عليه السلام إلى جانب حظوتها ، مثلهن ، بشرف الصحبة ولم تكن تقيم فى حجرات النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمسجد ، إلا أن أثرها فى هذه الحجرات وساكناتها كان جِدَّ بعيدا ..

فمن تكون هذه السرية؟ وكيف دخلت حياته صلى الله عليه وآله وسلم؟ وأى موضع كان لها فى هذه الحياة؟.

فى قرية عتيقة من صعيد مصر ، تدعى « حَفَن » من كورة « أَنْصِنَا » الواقعة على الضفة الشرقية للنيل تجاه الأشمونيين ، وُلدت « مارية بنت شمعون » : لأب قبطى ، وأم مسيحية رومية .

وأمضت بها حداثتها الأولى قبل أن تنتقل فى مطلع شبابها الباكر مع أختها « سرين » إلى قصر المقوقس، عظيم القبط ملك الإسكندرية .

قد سمعت هنالك بما كان من ظهور نبى فى جزيرة العرب يدعو إلى دين سماوى جديد ، وكانت فى القصر حين وفد « حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ » رضى الله تعالى عنه مُوفَدا من هذا النبى العربى يحمل رسالة إلى المقوقس.

وأذن له فى الدخول ، فأدى الرسالة ، كتاب النبى عليه الصلاة والسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« من محمد بن عبد الله إلى المقوقس ، عظيم القِبَطِ سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القِبط ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وقرأ المقوقس الكتاب ثم طواه فى عناية وتوقير ، ووضعه فى حُقٍّ من عاج دفعه إلى واحدة من جواريه .

والتفت بعد ذلك إلى « حاطب » يسأله أن يحدثه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ويصفه له ، فلما فعل فكر المقوقس ملياً ثم قال لحاطب :

« قد كنت أعلم أن نبيا قد بقيَ ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ـ وهناك كان مخرج الأنبياء ـ فأُراه قد خرج من أرض العرب ... ولكن القبط لا تطاوعنى «وضن بملكه أن يفارقه » .

ثم دعا بكاتبه فأملى عليه رده :

« .. أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرتَ فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بَقِىَ ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ..

وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وكسوة ، ومطية لتركبها، والسلام عليك »

ودفع المقوقس كتابه إلى « حاطب » معتذرا بما يعلم من تمسك القبط بدينهم ، وموصيا إياه بأن يكتم ما دار بينهما ، فلا يسمع القبط منه حرفا واحدا .

وانطلق حاطب عائدا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعه « مارية » وأختها « سيرين » وعبد خصى ، وألف مثقال ذهبا ، وعشرون ثوبا لينا من نسج مصر ، وبغلة شهباء « دلدل » وجانب من عسل « بنها » وبعض العود والندّ والمسك .

وشعرت الأختان بوحشة لفراق الوطن ، فسارتا تملآن

أعينهما من الوادى الحبيب، حتى إذا غابت عنهما آخر معالمه ألقتا نظرة وداع على الأرض التى حلت فيها تمائمهما ودرج عليها صباهما .

وأحس « حاطب » ما تجد الأختان الشابتان من شجن الفراق ، فأقبل عليهما يحدثهما عن تاريخ لبلاد عريق ، ويروى لهما ما وعى من قصص وأساطير نسجها الزمان حول مكة والحجاز طوال قرون لا عداد لها ، ثم انثنى يتحدث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، حديث مؤمن وامق وتابع صاحب ، فأخذت الشابتان بما سمعتا وانشرح قلباهما للإسلام ونبيه الكريم .

واستغرقهما التفكير فى الحياة الجديدة التى توشك أن تستقبلهما ، وفى السيد النبى الذى ينتظر فى « المدينة » رجوع صاحبه « حاطب » بجواب المقوقس .

وفى الإصابة من طريق ابن سعد ، أن حاطبا عرض

الإسلام على مارية ورغبها فيه ، فأسلمت هى وأختها.

حتى بلغ الركب المدينة سنة سبع من الهجرة وقد عاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من « الحديبية » بعد أن عقد الهدنة مع قريش .

وتلقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كتاب المقوقس ، وهدية مصر ...

وأعجبته « مارية » فاكتفى بها لئلا يجمع بين أختين ووهب أختها « سيرين » شاعره « حسان بن ثابت » فهى أم ولده عبد الرحمن.

وطار النبأ إلى دور النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أن شابة مصرية حلوة ، جعدة الشعر ، جذابة الملامح قد جاءت من أرض النيل هدية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزلها بمنزل لحارثة بن النعمان الأنصارى ، قرب المسجد ، وتكلفت « عائشة » ما استطاعت من جهد لكى تعلل نفسها

بألا خطر عليها من هذه الشابة الجديدة ، فما كانت سوى جارية قبطية غريبة ، أهداها سيد إلى سيد.

لكنها راحت ترقب فى كثير من القلق ، مظاهر اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المصرية الطارئة ، وقد أثار جزعها أن تراه صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من التردد عليها ، ويمكث لديها طويلا.. وفى رواية للواقدى بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة.. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجب بمارية القبطية ، وكانت بيضاء جعدة جميلة ، فأنزلها وأختها علي أم سُلَيْم بنت مِلْحَان ، فدخل عليهما فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا ، وحولها إلى مال له بالعالية، ووهب أختها سيرين ، حسانَ بن ثابت .

طيف وأمل..

مضى عام أو نحو عام و« مارية » سعيدة بحظوتها

لدى السيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اطمأن بها المقام فى كَنَفِه ، وأرضاها أن يضرب عليها حجاب أمهات المؤمنين .

وانحصرت أمانيها وخواطرها بل انحصر وجودها كله فى شخص ذلك العظيم الذى ربطها القدر به على غير ميعاد فكان لها السيد والصاحب والأهل والوطن ، وصار همها أن تظل أبدا موضع حظوته ورضاه .

وكانت تحمل فى كيانها سحر مصر ، وفِى أعطافها أريج الوادى العطر ، كما كانت تحف بها رؤى مثيرة وأطياف ساحرة ، لإيزيس فى حبها العبقرى ، ونفرتيتى فى جمالها الباهر ، وحتشبسوت فى ملكها العتيد ، وكيلوباترة فى جاذبيتها الآسرة .

ولم يغض ذلك النبع الدافق الذى كان يمدها فى كل آن بعذب الحديث وشهى السمر، كانت مشوقة أبدا أن تستعيد

قصة هاجر الفتاة المصرية التى جاءت من أرض النيل ، وحملت من سيدها إبراهيم فأثارت غيرة امرأته السيدة سارة فما زالت بزوجها حتى مضى بتلك المصرية وابنها حيث تركهما هنالك وحيدين بواد غير ذى زرع عند أطلال البيت العتيق .

وطالما شاق « مارى » أن تسمع لحديث نجدة السماء التى هدت « هاجر » إلى نبع زمزم ، وكيف بدأت الجزيرة العربية بانبثاق ذلك النبع المبارك حياة جديدة، وكيف عاشت « هاجر » ملء التاريخ ، وصار مسعاها مهرولة بين الصفا والمروة، شعيرة مقدسة من شعائر حج العرب في الجاهلية والمسلمين فى الإسلام .

وألفت « مارية » حين كانت تخلو بنفسها ، أن تفكر فى « هاجر » ومصريتها وأمومتها لإسماعيل وللعرب فلم تخطئ فيها ملامح شبها بها : فكلتاهما جاريتان مصريتان ، وكانت « هاجر » هبة من سارة للنبى إبراهيم ، عليه السلام

كما أن « مارية » هبة من المقوقس للنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثارت كلتاهما غيرة الزوجات الشرعيات فى بيت السيدين النبيين إبراهيم ، ومحمد صلى الله عليهما وآلهما وسلم ؟! .

ما أبعد الأمنية ، بل ما أدناها من المستحيل ؟ ..

ولقد تزوج المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم منذ ماتت السيدة خديجة ، عددا من الزوجات ، منهن الشابة الفتية ، والمرأة الناضجة ، ومنهن من كانت ذات ولد ، ولكن أرحامهن جميعا أمسكت فما تجود بولد واحد للنبى الذى تخطف الموت أبناءه من خديجة فلم يدع له سوى ابنة واحدة ، هى السيدة « فاطمة الزهراء ».

وقد شارف الستين من عمره ، وبدا كأنه كف عن تمنى الولد ، بعد سنين مجدبة من الولد ، مع زوجات ذوات عدد .

فأنَّى لمارية أن يكون لها مثل ما كان لهاجر من أمومتها لإسماعيل؟

يالها من أمنية أبعد من الوهم ، ويا له من أمل أوهى من السراب !.

بشـــري :

استقبلت « مارية عامها الثانى فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ما تكف عن ذكر هاجر ، وإسماعيل ، وإبراهيم .

وفجأة أحست بوادر حمل مستكن ، فكذبت إحساسها واتهمت يقظتها ، وخيل إليها أن المسألة لا تعدو أن تكون وهما جسمه شوقها المُلِحُّ إلى الأمومة ، وتفكيرها الدائم فى هاجر وإسماعيل .

وكتمت مابها شهرا وشهرين ، وهى فى ريب من الأمر ، لا تدرى أحق هو أم ذاك حلم يقظة ورؤيا منام .. حتى تجسمت البوادر الأولى وصارت أوضح من أن تُتهم .

هنالك أفضت به إلى أختها « سيرين » فأكدت لها أن ليس فى الأمر وهم ولا شبه وهم ، وإنما هو جنين حى .

وأخذ « مارى » من الانفعال والفرح ما قرب وما بعد، فما حسبت أن السماء سوف تستجيب لدعائها هكذا، وتحقق أملها الذى بدا عقيما واهيا كالسراب واستغرقتها نشوة حالمة ، حتى جاء السيد الرسول ، فأفضت إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالسر الخطير الذى تجنه أحشاؤها. وتذكر من توعكها وقلقها وزهدها فى الطعام ، وهى أعراض عرفها من قبل فى « خديجة » فى مستهل كل حمل ، لكنه حسبها فى « مارية» وعكة طارئة لا تلبث أن تزول.

ورفع إلى السماء وجها مشرق الأسارير يشكر لخالقه ذاك العزاء الجميل الذى مَنّ به على عبده الرسول ، إثر فقد ابنته الغالية « زينب » بعد أن ماتت قبلها رقية ، وأم كلثوم ، ومات عبد الله ، والقاسم ..

سبحانه ، جلت قدرته وعظمت آياته ، ووسعت رحمته

عبده المصطفى ، كما وسعت من قبله عبديه إبراهيم وزكريا عليهما السلام .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥)
فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ
بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا
وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ « الذاريات ٢٤ـ ٣٠ » .

ومن آياته تعالى فى زكريا والبشرى بيحيى :

﴿ كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا
(٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ

مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ
لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ
وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا
﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن
قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ
الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا
يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا
مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن

جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

لكن « مارية » لم تكن عجوزا ، كما لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم عقيما قد بلغ من الكبر عتيا ! وفاض عالمهما المشترك بالهناءة والغبطة .

سرعان ما سرت البشرى فى أنحاء المدينة أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر مولودا له من « مارية » القبطية .

وما بقارئ حاجة إلى أن نصور له وقعها الأليم على نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

أتحمل هذه الغريبة الطارئة ، ولمّا يمض عليها فى المدينة سوى عام واحد ، وإن منهن من أمضت معه عليه الصلاة والسلام ، عدة أعوام بلا حمل؟ .. أيؤثرها الله بهذه النعمة الكبرى ، وأمهات المؤمنين ــ وفيهن بنتا أبى بكر

وعمر ، وبنت زاد الرَّكْب ، وحفيدة أبى طالب ، وبنت أبى سفيان ـ محرومات لا يلدن ؟

روى ابن سعد من طريق الواقدى أن رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم «حجب مارية وكانت قد ثقلت على نسائه، وغرن عليها ، ولا مثل عائشة » .

ونقلها صلى اللهعليه وآله وسلم إلى « العالية » بضواحى المدينة ، توفيرا لراحتها وسلامتها وعناية بصحة جنينها .. وسهر عليها يرعاها، وكذلك فعلت أختها سيرين حتى بلغ الجنين أجله وحانت ساعة الوضع ذات ليلة من شهر ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ودعا صلى اللهعليه وآله وسلم قابلتها[١] « سلمى » : زوج[٢] أبى رافع ثم انتحى ناحية من الدار ، يصلى ويدعو ..

---

(١) المرأة التى تقوم بالإشراف على وضع النساء (المُوَلِّدة) .

(٢) امرأة أبى رافع رضى الله تعالى عنهما يقال للرجل زوج المرأة وللمرأة زوج الرجل أيضا .

فلما جاءته أم رافع بالبشرى أكرمها كل الإكرام ، وخف إلى مارية فهنأها بولدها الذى أعتقها من الرق[1] ، ثم حمل وليده بين يديه فى غبطة وسماه « إبراهيم » تيمنا باسم جدِ الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

وتصدق صلى اللهعليه وآله وسلم على مساكين المدينة فوق ما كان يتصدق بوزن شعر الوليد ورقا (فضة)، وتنافست نساء الأنصار أيتهن ترضعه ، أحبوا أن يفرغوا مارية للنبى صلى اللهعليه وآله وسلم لما يعلمون من هواه فيها ، فاختار مرضع ولده ، وجعل فى حيازتها قطعة[2] من الماعز كى ترضعه بلبنها إذا شح ثدياها .

وراح يرقب نموه يوما بعد يوم ، ويجد فيه أنسه ومسرته ، ويود لو شاركته دنياه كلها فى هذا الإنسان .

---

(١) إذ حملت الأمة من سيدها الحر وولدت صارت تدعى أم ولد ولها أحكام تطلب من كتب فروع الفقه.

(٢) مجموعة من أنثى الماعز

حمله يوما بين ذراعيه إلى « عائشة » فبلغ من شدة ما تجد أن كادت تبكى ، لكنها أمسكت عبرتها مغيظة ..

وأدرك صلى الله عليه وآله وسلم على الفور مدى ما تكابده ، فانصرف بولده وهو يرثى لعائشة..

وظلت النار ترعى تحت رماد من التجمل والتكلف والمداراة ، حتى كان اليوم الذى اجتمع فيه صلى الله عليه وآله وسلم بمارية فى بيت « حفصة » فاندلع الضرام من تحت الرماد متوهجا ، وكان ما كان من قصة التحريم .

وخيل لمارية أنها بلغت مناها ، فهذه هى تلد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولدا كما ولدت « هاجر » لإبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام .

وهذه هى محنة الغيرة تنتهى على خير .

ولم يسعد « مارية » شىء قدر ما أسعدها أن تهب السيد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على اليأس ـ

غلاما تقر به عينه ، ويتعزى به عمن فقد من أبناء السيدة خديجة، أم المؤمنين الأولى،رضى الله تعالى عنها وأرضاها.

لكنها لم تنج من غيرة نساء النبى صلى اللهعليه وآله وسلم والغيرة طبعا من طباع النساء عموما .

وفى « الإصابة » من طريق عمرة ، بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : « ما غرت على امرأه إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأعجب بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أنزلها أول ما قدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان ، الأنصارى ، فكانت جارتنا ، فكان كثيرا ما يكون عندها .. فجزعت فحولها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا » زادت فى رواية « ثم رزقها الله الولد وحُرِمْناه » .

على أن غَيْرَةَ أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن

لم تنل من مارية ما نالته شائعة سوء أرجف بها مرجفون من أهل المدينة ، ولم يتخل الله تعالى عنها فى محنتها ، بل أتاح لها دليلا قاطعا على براءتها من الريبة . وأنزل الله جبريل عليه السلام ببراءتها .

وفى حديث صحيح عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب التوبة، باب براءة حرم النبى، صلى الله عليه وآله وسلم ـ أم ولده إبراهيم ـ من الريبة أخرجه الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى ترجمتها رضى الله تعالى عنها ، فى كتابه الاستيعاب فى معرفة الأصحاب.

كان عبد مصرى جاء مع مارية من المقوقس يدخل على أم ولده صلى الله عليه وآله وسلم فقال لعلى إذا رأيته فاضرب عنقه فأتاه فإذا هو فى ركية يتبرد فيها فقال له اخرج فخرج فناوله يده فإذا هو مجبوب[1] ليس له ذكر

---

(١) المجبوب مقطوع الذكر وكانت الملوك مثل المقوقس يفعلون ذلك ببعض =

فكف عنه ثم أخبره صلى الله عليه وآله وسلم .

روى الطبرانى عن ابن عمر قال : دخل صلى الله عليه وآله وسلم على مارية وهى حامل بإبراهيم فوجد عندها نسيبا لها فوقع فى نفسه شيء فخرج فلقيه عمر فعرف ذلك فى وجهه فسأله فأخبره ، فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف فكشف عنه نفسه فرآه مجبوبا ليس بين رجليه شيء فرجع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله تعالى قد برأها مما وقع فى نفسى ، وإن فى بطنها غلاما منى وأنه أشبه الناس بى وأمرنى أن أسمية إبراهيم وكنانى أبا إبراهيم .

قال « فى الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى : ويجمع بين قصتى عمر وعلى باحتمال أن عمر مضى إليها سابقا عقب خروجه صلى الله عليه وآله وسلم

= العبيد يجعلونهم فى خدمة نسائهم .

فلما رآه محبوبا اطمأن قلبه وتشاغل بأمر ما وتأخر إرسال على قليلا بعد رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكانه ولم يسمع بعدُ بقصة عمر ، فلما جاء على وجد الخصى قد خرج من عندها إلى النخل يتبرد فى الماء فوجده كما أخبر عمر ، ويكون إخبار عمرو وعلى معا وأحدهما بعد الآخر ثم نزل جبريل بما هو آكد من ذلك .

الهلال الغارب

لكن سعادتهما لم تطل سوى عام وبعض عام ، ثمّ كانت المحنة الفادحة والثكل المر..

مرض « إبراهيم » ولما يبلغ عامين من عمره ، فجزعت أمه ودعت إليها أختها ، وقامتا ساهرتين حول فراشه تمرضاه ، ونفساهما تذوبان عليه من لهفة وقلق لكن الحياة أخذت تنطفئ فيه رويدا رويداً .. فجاءه أبوه معتمدا على يد « عبد الرحمن بن عوف » لشدة ألمه ، فحمل

صغيره من حجر أمه وهو يجود بنفسه ، ووضعه فى حجره محزون القلب ضائع الحيلة ، لا يملك إلا أن يقول فى أسى وتسليم:

« إنا يا إبراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا » ثم ذرفت عيناه وهو يرى ولده الوحيد يعالج سكرات الموت ، ويسمع حشرجة احتضاره ، مختلطة ببكاء الأم الثكلى والخالة المفجوعة .

عن « أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أبى سيف القيْن وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام(١) ، فأخذ رسول الله إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمعان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت

---

(١) يقال كان حدادا والظئر هو زوج مرضعة إبراهيم عليه السلام

يارسول الله[1]؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن عوف ، إنها رحمة ، ثم أتبعها أخرى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

توفي عليه السلام لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة ، على الأرجح.

وانحنى الأب الثاكل على جثمان فقيده فقبله والدمع يفيض من عينيه، ثم تمالك نفسه وقال : « إبراهيم » لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، أن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك حزنا هو أدوم من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب » .

ثم نظر إلى مارية فى عطف ورثاء ، وقال يواسيها :

---

(١) أى وأنت أيضا تبكى كما يفعل سائر الناس عند وجود المصيبة.

« إن إبـراهيـم ابـنـى ، وإنـه مــات فـى الـثــدى[1] ، وإن لـه لظئرين[2] تكملان رضاعه فى الجنة » .

وأقبل ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم « الفضل بن عباس » فغسَّل الصغير الميت ، وصلى عليه أبوه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكبر أربعا ، ثم سار وراءه إلى البقيع ، وأضجعه بيده ورجع المشيعون واجمين ، وقد غم الألوف وانكسفت الشمس فقال قائلون: « إنها انكسفت لموت إبراهيم ».

وبلغت الكلمة مسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فصلى بالناس صلاة الكسوف وخطبهم ، قائلا : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، ولا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا ».

وطوى جرحه فى قلبه الكبير صابرا مستسلما لقضاء الله تعالى فيه .

---

(١) أى مات وهو رضيع من الثدى.

(٢) الظئر هى مرضعة غير ولدها .

واعتكفت « مارية » فى بيتها تحاول أن تتجمل بالصبر حتى ينتكئ الجرح فى قلب السيد الرسول ، فإذا عز الصبر خرجت إلى البقيع فاستروحت لقرب فقيدها والتمست راحة فى البكاء .

ولكن أيامه صلى الله عليه وآله وسلم لم تطل بعد موت « إبراهيم » فى السنة العاشرة للهجرة ، فما أهل ربيع الأول من السنة التالية حتى شكا صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم لحق بربه الأعلى ، وترك « مارية » من بعده تعيش خمس سنوات فى عزلة عن الناس ، ولا تكاد تلقى غير أختها سيرين ، ولا تكاد تخرج إلا لكى تزور قبر الحبيب بالمسجد، أو قبر ولدها بالبقيع .

فلما ماتت سنة ست عشرة من الهجرة « أخذ أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه يحشد الناس لجنازتها ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع » .

وصية النبي صلي اللّه عليه وآله وسلم بقبط مصر:

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فحسب « مارية » أنها دخلت فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن آثرها الله تعالى بأمومتها لإبراهيم عليه السلام .

وارتبطت ذكراها بذكرى هاجر فى وعى التاريخ وضمير الأمة ، ووعت الأجيال ما بينهما من صلة حميمة، منذ جاءتا الحجاز ، فتاتين من مصر هديتين من ملكاها : هاجر، أم ولد إبراهيم عليه السلام ، ومارية ، أم ولد محمد عليه الصلاة والسلام.

ولعل أول ما ربط بين مارية وهاجر ، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فى وصيته بأهل قبط مصر ، محفوظة موثقة ، مدونة فى صحاح الحديث فى « باب وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأهل قبط مصر» .

بعنوان هذا الباب ، أخرج مسلم فى « صحيحه » من طريقين حديث أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال : ذمة وصهرا » .

وفى رواية « استوصوا بأهل مصر خيرا فإن لهم نسبا وصهرا » .

النسب من جهة هاجر أم إسماعيل عليه السلام جد العرب العدنانية ، والصهر من جهة مارية القبطية أم إبراهيم ابن محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ففى أهل مصر خئولة ولد إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

وتداول الحفاظ حديث الوصية النبوية بأهل مصر ، فرواها « أبو يَعْلَى الموصلى : فى مسنده ، وأبو القاسم

الطبرانى : فى معجمه الكبير ، و: نورالدين الهيثمى » فى مَجْمَع الزوائد .

وقد فتحت مصر سنة عشرين ، بعد تسع سنين من وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

فكانت الوصية من وثائق الفتح: ذكرها عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه » فى مفاوضات الصلح بينه وبين مندوبى المقوقس ، قال لهما فيما قال « وقد أعلمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم ، حفظا لرحمنا فيكم ، وإن لكم ـ إن أجبتمونا ـ ذمة إلى ذمة، ومما عهد إلينا أمير المؤمنين « استوصوا بالقبطيين خيرا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا ، لأن لهم رحما وصهرا » .

وأخرج مؤرخو مصر الإسلامية ، حديث الوصية فى كتب فتوح مصر وفضائلها ، فأخرجها من عدة طرق

« ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن فى مستهل كتابه « فتوح مصر » والربيع الجيزى فى « من دخل مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم »، ومن بعدهما من المؤرخين الحفاظ مثل « أبى جعفر الطحاوى ، وابن يونس الصدفى فى تاريخيهما الكبيرين ، إلى التقى المقريزى ، وابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة و الجلال السيوطى فى « حسن المحاضرة » .

ودخل حديث الوصية فى كتب الدلائل ، أذكر منها «دلائل النبوة لأبى بكر البيهقى ، ولأبى نعيم الأصبهانى ».

وكذلك أخذت بلدة « حَفَن ، من كَوْرة أَنصِنا » الأثرية القديمة من صعيد مصر موضعها من كتب المؤرخين والجغرافيين والبلدانيين فى « النجوم الزاهرة : ١/٢٩ عن ابن كثير .

« وقد وضع عنهم ـ عن أهل حفن من كورة أنصنا ـ

معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عهما الجزية إكراما لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » من مارية القبطية .

قال ياقوت فى « حفن » من معجم البلدان « وكلم الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية لأهل حفن فوضع عنهم معاوية خراج الأرض » .

ويقال : إن « عبادة بن الصامت الأنصارى رضى الله تعالى عنه » وكان ممن شهد فتح مصر بحث عن تلك البلدة وسأل عن موضع بيت مارية بها ، فبنى به مسجدا .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذى اصطفى »

« صدق الله العظيم »

ابن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم تسليما..

قال: محمد بن عمر بن واقد الأسلمى، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه.. قال : لما رجع رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ، من الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس القبطى صاحب الإسكندرية وكتب معه إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام ، فلما قرأ الكتاب قال خيرا ، وأخذ الكتاب ، فكان مختوما ، فجعله فى حق من عاج، وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له ، وكتب إلى النبى، صلى الله عليه وآله وسلم، جواب كتابه ، ولم يَسْلَمْ ، وأهدى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، مارية القبطية وأختها سيرين وحماره يعفور وبغلته دلدل وكانت بيضاء ، ولم يكن فى العرب يومئذ غيرها[1].

قال محمد بن عمر : وأخبرنى أبو سعيد رجل من أهل العلم قال : إن مارية من حفن من كورة أنصنا .

قال : محمد بن عمر ، أخبرنا يعقوب بن محمد ابن أبى صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة

(١) أى غير هذا النوع من الدواب

: قال : كـان رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، يعـجب بمارية القبطية ، وكانت بيضاء جعدة جميلة ، فأنزلها رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، وأختـهـا على أم سُلَيْم بنت مِلْحـان فـدخل عليـهـا رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم فعرض عليهما[1] الإسلام فأسلمتا ، فوطئ مارية بالملك[2] ، وحولها إلى مـال بالعالية ، كـان من أموال بنى النضيـر ، فكانت فـيه فى الصيف وفـى خرافة النخل ، فكان يأتيـهـا هناك.

وكـانت حسنة الدين ووهب أختـهـا سيرين لحسان بن ثابت الشـاعـر ، فـولـدت لـه عـبـد الرحمن ، وولـدت مـاريـة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلاما فسماه إبراهيم ، وعَقَّ عنـه رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم بشـاة يـوم سابعه ، وحلق رأسه فتصدق بزنة شعرة فضة على المساكين

(١) أى هى وأختها سيرين رضى الله تعالى عنهما.

(٢) أى بملك اليمين لا بعقد نكاح (زواج).

وأمر بشعره فدفن فى الأرض، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها[1] سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجت إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاما ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبشره ، فوهب له عبدا ، وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتد عليهن حين رُزق منها الولد .

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى ابن أبى سَبْرَةَ عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجب مارية وكانت قد ثقلت على نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغرن عليها ولا مثل عائشة.

قال محمد بن عمر : وولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة.

---

(١) أى مولدتها وتسمى القابلة لأنها تستقبل الأم وتستقبل وليدها.

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن أنس بن مالك قال :لما وُلد إبراهيم جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم !

قال: وأخبرنا محمد بن خازم أبو معاوية الضرير عن إسماعيل بن مسلم عن يونس بن عبيد عن أنس بن مالك قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أصبح فقال : إنه ولد لي الليلة غلام وإني سميته باسم أبي إبراهيم.

قال : أخبرنا شبابة بن سوار، أخبرنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه ولد لي البارحة غلام سميته باسم إبراهيم.

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن حسين بن عبد الله بن عبد الله بن العباس عن

عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ولدت أم إبراهيم إبراهيم أعتق أم إبراهيم ولدها[1] .

قال : أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا يعقوب بن محمد ابن أبى صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة قال : لما ولد إبراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس ابن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم ابن عدى بن النجار، فكانت ترضعه وكان يكون عند أبويه فى بنى النجار[2] ويأتى رسول الله ، صلى الله عليه وآله

(١) كما قلنا سارت أم ولد وهى الآمة التى ولدت من سيدها ولها أحكام شرعية تطلب من كتب فروع الفقه .

(٢) أى أبويه من الرضاعة المرضع وزوجها .

وسلم أم بردة فيقيل عندها ويؤتى بإبراهيم .

قال : أخبرنا عفان بن مسلم قال : قال حدثنى سليمان ابن المغيرة عن ثابت البنانى ، أخبرنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولد لى الليلة غلام فسميته بأبى إبراهيم ، قال : ثم دفعه إلى امرأة قين[١] بالمدينة يقال له أبو سيف ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتبعته حتى انتهينا إلى أبى سيف وهو ينفخ بكيره وقد امتلأ البيت دخانا ، فأسرعت فى المشى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمسك ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بالصبى فضمه إليه وقال ماشاء الله أن يقول .

قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى ابن علية عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك قال : مارأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه

---

(١) قلنا هو صاحب صنعة الحدادة والذى قد يصنع السيوف .

وآله وسلم ، كان إبراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة فكان يأتيه ونجيء معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخن[1] : قال : وكان ظئره قَيْناً فيأخذ إبراهيم فيقبله .

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن عروة عن عائشة : لما وُلد إبراهيم جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلىَّ فقال : انظرى إلى شبهه بى فقلت : ما أرى شبها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ فقلت : إنه من قصر عليه اللقاح ابيض وسمن .

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشه عن النبى ، عليه الصلاة والسلام ، مثله إلا أنه قال : قالت من سقى ألبان الضأن سمن وابيض .

---

(١) الدخان الذى ينبعث من كير الحداد.

قال : قال محمد بن عمر : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعة غنم[1] تروح عليه ولبن لقاح له فكان جسمه وجسم أمه مارية حسنا .

قال : أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى حسين عن مكحول قال ، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف وإبراهيم يجود بنفسه، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له عبد الرحمن : أى رسول الله هذا الذى تنهى الناس عنه!

متى يراك المسلمون تبكى يبكوا ، قال : فلما غربت عنه عبرته قال : إنما هذا رحمة وإن من لا يَرحم لا يُرحم، إنما ننهى الناس عن النياحة وأن يُندَب الرجل بما ليس فيه ، ثم قال : لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء وأن آخرنا لاحق

(١) مجموعة من الغنم والتى يملكها الفقراء عادة أما الإبل فهى مال أغنياء العرب .

بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا وإنا عليه لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعه فى الجنة.

قال : أخبرنا عبد الله بن نمير الهمدانى والنضر بن إسماعيل أبو المغيرة قالا : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عطاء عن جابر بن عبد الله الانصارى عن عبد الرحمن بن عوف قال : اخذ رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم بيدى فانطلق بى على النخل الذى فيه إبراهيم ، فوضعه فى حجره وهو يجود بنفسه ، فذرفت عيناه ، فقلت : أتبكي يارسول الله ! أو لم تنه عن البكاء؟ قال : إنما نهيت عن النوح عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ، قال : قال عبد الله بن نمير فى حديثه : إنما هذا رحمة ومن لا يَرحم لا يُرحم ، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية وأن

أخرانا سيلحق أولانا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب عز وجل .

قال : أخبرنا الفضل بن دُكَيْن ، أخبرنامحمد بن راشد عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على ابنه إبراهيم وهو فى السوق فدمعت عيناه ومعه عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أتبكى وقد نهيت عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن النياحة وأن يُنَدَبَ الميت بما ليس فيه وإنما هذه رحمة. قال : أخبرنا الفضل بن دكين ، أخبرنا طلحة بن عمرو عن عطاء. قال : لما توفى إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولن نقول ما يسخط الرب ، ولولا أنه وعد صادق ويوم جامع لاشتد وجدنا عليك وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون .

قال: أخبرنا موسى بن داود ، أخبرنا ابن لهيعة عن

بكير بن عبد الله بن الأشج : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بكى على إبراهيم ابنه ، فصرخ أسامة بن زيد فنهاه النبى صلى اللهعليه وآله وسلم فقال: رأيتك تبكى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان .

قال : أخبرنا يَعْلَى بن عُبَيْد الطنافسى، أخبرنا الأجلح عن الحكم قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى على إبراهيم ابنه ، فصرخ أسامة بن زيد فنهاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : رأيتك تبكى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان .

قال : أخبرنا يعلى بن عبيد الطنافسى أخبرنا الأجلح عن الحكم قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أنه أجل معدود ووقت معلوم لجزعنا عليك أشد مما جزعنا ، العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إن شاء الله إلا ما

يرضى الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزنون.

قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا أَبَان ، أخبرنا قتادة أن إبراهيم ابن نبى الله صلى عليه وآله وسلم، توفى فقال نبى الله : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إن شاء الله إلا خيرا ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون ! وقال : تمام رضاعه فى الجنة [1].

قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن أيوب عن عمرو بن سعيد قال: لما توفى إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن إبراهيم ابنى وإنه مات فى الثدى[2] وإن له لظئرين[3] تكملان رضاعه فى الجنة .

قال : أخبرنا وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أى له مرضع تكمل مدة رضاعه فى الجنة.

(٢) أى وقت رضاعه

(٣) قلنا إن الظئر فى لسان العرب هى التى ترضع غير ولدها .

وسلم: إن له مرضعا فى الجنة تستكمل له بقية رضاعه.

قال : أخبرنا وكيع بن الجراح وهشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ويحيى بن عباد عن شعبة قال : سمعت عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : لما مات إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما إن له مرضعا فى الجنة.

قال أخبرنا عفان بن مسلم ، أخبرنا سليمان بن المغيرة أخبرنا ثابت ، أخبرنا أنس بن مالك قال : رأيت إبراهيم وهو يفيض بنفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون .

قال : أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابى البصرى أخبرنا همام عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى

على ابنه إبراهيم وقال : تمام رضاعه فى الجنة .

قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى العبسي عن إسرائيل ابن يونس عن جابر عن عامر عن البراء قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنه إبراهيم ابن مارية القبطية ، ومات وهو ابن ستة عشر شهرا ، وقال : إن له ظئرا تتم رضاعه فى الجنة هو صدِّيق .

قال : أخبرنا وكيع عن سفيان عن جابر عن عامر عن البراء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن له مرضعا فى الجنة تستتم بقية رضاعه وقال: إنه صديق شهيد .

قال : أخبرنا عفان بن مسلم ويحيى بن حماد وموسى ابن إسماعيل التبوذكى قالوا : أخبرنا أبو عوانة ، أخبرنا إسماعيل السدى قال : سألت أنس بن مالك. أصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنه إبراهيم ؟

قال لا أدرى ، رحمة الله على إبراهيم ، لو عاش كان

صديقا نبيا .

قال أخبرنا عبد الله بن نمير الهمدانى عن عطاء ابن عجلان عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كبّر على ابنه إبراهيم أربعا (١).

قال : أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى أويس المدنى عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى على ابنه إبراهيم حين مات .

قال أخبرنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا مسعر عن عدى بن ثابت أنه سمع البراء يقول : إن لابن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم المتوفى لمرضعة فى الجنة أو ظئرا شك مسعر

قال أخبرنا يحيى بن حماد ، أخبرنا أبو عوانة عن سليمان يعنى الأعمش ، عن مسلم عن البراء قال توفى

---

(١) أى فى صلاة الجنازة.

إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لستة عشر شهرا، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ادفنوه فى البقيع فإن له مرضعا فى الجنة ، قال وكان من جارية له قبطية .

قال : أخبرنا خالد بن مخلد البجلى ، حدثنى محمد ابن موسى قال : أخبرنى محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون ، ثم اتبعه إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أشار بيده يخبرنى أن قبر إبراهيم إذا انتهيت إلى البقيعة فجزت أقصى الدار يسارك تحت الكبا الذى خلف الدار .

قال : أخبرنا معن بن عيسى الأشجعى، أخبرنا إبراهيم ابن نوفل بن المغيرة بن سعيد الهاشمى عن رجل من آل على أن النبى ، صلى اللهعليه وآله وسلم حين دفن إبراهيم

قال : هل من أحد يأتى بقربة؟ فأتى رجل من الأنصار بقربة ماء ، فقال: رشها على قبر إبراهيم ؛ وقبر إبراهيم قريب من الطريق ، وأشار إلى قريب من دار عقيل .

قال : أخبرنا الفضل بن دُكَيْن ، أخبرنا طلحة ابن عمرو عن عطاء قال : لما سوى جدثه كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى كالحجر فى جانب الجدث فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسوى بإصبعه .

ويقول : إذا عمل أحدكم عِملا فليتقنه فإنه مما يسلى بنفس المصاب.

قال : أخبرنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن برد عن مكحول أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان على شفير قبر ابنه فرأى فرجة فى اللحد فناول الحفار مدورة وقال : إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحى .

قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن

أبى إسحاق عن السائب بن مالك قال : انكسفت الشمس وتوفى ذلك اليوم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، اخبرنا إسرائيل عن زياد بن علاقة بن المغيرة بن شعبة قال : انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، عز وجل ، ولا ينكسفان لموت احد فإذا رأيتموهما فعليكم بالدعاء حتى ينكشفا .

قال : أخبرنا الفضل بن دكين ، أخبرنا عبد الرحمن ابن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال : انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات ذلك فافزعوا الى المساجد ،

ودمعت عيناه فقالوا : يارسول الله تبكى وأنت رسول الله ! قال : إنما أنا بشر ، تدمع العين ويخشع القلب ولا نقول ما يسخط الرب والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون ! ومات ابراهيم وهو إبن ثمانية عشر شهرا .

وقال : له مرضعة فى الجنة .

قال : أخبرنا الفضل بن دكين ومحمد بن عمر الأسلمى عن إسرائيل عن جابر عن عامر قال : توفى إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهرا .

قال أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت لما مات إبراهيم دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المعزى يارسول الله أنت أحق من عرف الله حقه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط

الرب لولا أنه وعد صادق ووعد جامع وأن الآخر لاحق بالأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أشد من وجدنا ، وإنا بك لمحزونون !

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى أسامة بن زيد الليثى عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت عن أمه سيرين قالت حضرت وأختى ما ينهانا ، فلما مات نهانا عن الصياح وغسله الفضل بن عباس ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعباس جالسان ، ثم حُمل فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شفير القبر والعباس جالس إلى جنبه ، ونزل فى حفرته الفضل بن عباس وأسامة بن زيد ، وأنا أبكى عند قبره ما ينهانى أحد ، وخسفت الشمس ذلك اليوم ، فقال الناس: لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته . ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الطوب النىء قبل أن يحرق كان يسد به القبور .

فرجة فى اللبنِ[1] فأمر بها أن تسد ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكن تقر عينىْ الحى ، وإن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه ، ومات يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر .

قال : أخبونا محمد بن عمر أخبرنا يعقوب بن محمد ابن أبى صعصعة أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة قال : توفى إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بنى مازن عند أم بردة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن له مرضعة تتم رضاعه فى الجنة ، وحمل من بيت أم بردة على سرير صغير[1] ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبقيع فقيل له : يارسول الله أين ندفنه ؟ قال : عند فرطنا عثمان بن مظعون ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد

---

(١) النعش الذى يحمل عليه المتوفَّى .

أعطى أم بردة قطعة نخل ناقلت بها بعد مال عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدى .

قال أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا عبد الله بن عاصم الحكمى عن عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر فوضع عند قبره ورش على قبره الماء .

قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم قال : سمعت عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يحدث عمى يعنى الزهرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطى .

قال : أخبرنا الحكم بن موسى أبو صالح قال : حدثنا الوليد بن مسلم أخبرنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى ابنه إبراهيم لما مات : لو عاش ما رق له خال[1] .

(١) أى لا يستعبد أحد من آل أمه.

التحـــريــــم :

التقت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محاط العظمة واشتبكت لديه وشائج القربى من آله والحظوى فى الدنيا والآخرة وتطلعت إليه نظر الخليقة أجمعين ، يتنسمون اريجا من شذاه ويرمقون زهرة من جناه ، فهو ملء السمع والبصر ومحط العين والفؤاد ..

وكان من أشد الناس التصاقا بالنبى عليه الصلاة والسلام وتزاحما على حوضه وتنافسا إلى حماه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .

وليس بدعا أن تسلك إلى قلوب هؤلاء النساءالطاهرات عقارب الغيرة حبا فيه ، وأثرة عليه فتدب دبيبها خفيفا ، وتسرى إلى الفؤاد ، فتورى فيه نارا لا ينطفئ لظاها إلا بالقرب من نبى كريم .

ألسن من النساء اللاتى غلبتهن قوة العاطفة وتملكتهن

دوافع الغيرة والأثرة فى كل عصر وزمان ؟ .

أو ليست قلوبهن تصبو ونفوسهن تحنو وآمالهن تتدافع ورجاؤهن بفيض لخيرالناس اجمعين !

كان النبى الكريم يفيض قلبه بعاطفة الأبوة وتحنو نفسه إلى بنته زينب فإذا رآها أنس بها واطمأن إليها ، وانشرح صدره ؛ لأنها ثمرة نفسه وحبة قلبه ، حتى إذا أفل نجمها فذهبت إلى جوار ربها استوحش إليها ، وامتدت آماله إلى الولد ليمسح عن قلبه انقباض الوحدة واثر الفاجعة .

وما زال الرسول الكريم فى وحشته وانقباضه يدفعه شوق أن يكتحل بسنا نور ابن كريم ، وهو فى حنينه ووحدته تدب فى قلبه حسرة وأسى، لأنه شارف الستين من عمره، وأوشك مصباح حياته أن ينطفى ! فما هو ببالغ أملا يشيمه كل والد ، ولا يتنفس بروح يتنسمه كل أب يفيض قلبه بالعطف والحنان .. وحُملت إلى النبى الكريم من المقوقس

والى مصر هدايا ، ومن بينها مارية القبطية، فقبلها النبى ، وأنزلها منزلة السرارى ، ولم يهبها ما وهب لأزواجه ، فلم يخصص لها منزلا بجوار المسجد كغيرها من أمهات المؤمنين بل أنزلها بالعالية من ضواحى المدينة في منزل يحيط به الكرْم والزرع والنخيل .

وكان الرسول العظيم يختلف إليها ولها منه ما يحل للرجل فيمن ملكت يمينه حتى إذا حملت مارية وولدت إبراهيم تفجرت ينابيع البشر والسرور فى قلب أبيه وأنست نفس الوالد عطفا ورحمة وحنانا بولده الغر الميمون ، وارتفعت مكانة مارية، فصارت إلى مصاف الزوجات المقربات ، وازدادت بذلك حظوة عنده، ومكانة ملأت قلبها بالمسرة ، وانقلبت إلى ربها بالشكران والتسبيح .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفيا بولده ، قرير العين به رضى النفس له ، مطمئن الفؤاد لمولده ، فصار يختلف إلى منزل مارية يطالع كل يوم أفق مشرع هذا

الغلام ينعم بابتسامته البريئة الطاهرة ويفيض عليه كثيرا من حنان الأبوة وطهارة النبوة ويغمره بهذا الفيض الإلهى العظيم.

وقد حمله يوما بين ذراعيه إلى عائشة ، فنفست عليه وحجبتها الغيرة ان تهش وتبش للغلام الكريم .

كذلك كانت الأثرة والغيرة تدب فى قلوب نساء النبى كلما رأين منه إقبالا على مارية ، وحبا وتعلقا بولدها ولا يستغرب هذا من غيرة النساء فى كل زمان ومكان وبالذات غيرة نسوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا النبى سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وما لهن أن يغير مثلهن على مثله .

وكان الرسول الكريم يخص نساءه بمكانة محترمة وينزلهن منزلا عزيزا وينفحهن أبدا بعطف وإجلال وتكريم ، على غير عادة العرب فى الجاهلية ، فلما رأينه يفيض

عليهن من عظمته وكرمه جنحت نفوسهن ، فتعالين فى الاستمتاع بحريتهن ، واتخذن من بعض الحوادث مسلكا إلى إغضاب الرسول وإن كن لا يقصدن ضرره .

كان رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم فى بيت حفصة ، فاستأذنته أن تذهب إلى أبيها فأذن لها ، وفى غضون غيبتها جاءت مارية ، فأقامت مع النبى عليه الصلاة والسلام زمنا ، فلما حضرت حفصة، ورأت مارية فى بيتها فانتظرت خروجها وقلبها يشتعل وجدا وغيرة ولما خرجت مارية دخلت حفصة على النبى ، فقالت لقد رأيت من كان عندك ، والله لقد أسأتنى ، وما كانت تصنع لولا هوانى عليك.

وأدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الغيرة قد تدفع حفصة إلى إذاعة ما رأت ، والتحدث به إلى غيرها من الأزواج ، وفى ذلك ما فيه من إثارة لغيرتهن وتحريك لحفيظتهن ، فأراد إرضاءها فحلف لها أن مارية حرام عليه

إذا هى لم تذكر ما رأت لأحد فوعدته أن تكف عن إذاعة ما كان.

ولكن الطبيعة النسوية كانت أقوى جماحا إذ تحركت الغيرة تأكل صدرها ، فلم تطق كتمان ما وعدت بكتمانه فأسرته الى عائشة وذاع الأمر بين نساء النبى كلهن .

فأكثرن من الحديث فى شأنه والجدل فى أمره ؛ والنبى الكريم ليس خليا لهذا النوع من اللجاج والغيرة ، فأراد أن يلقى عليهن درسا ليكون عبرة لهن وتذكرة .

عزم النبى أن ينقطع عن نسائه شهرا كاملا ؛ تأديبا وردعا لهن عما تمادين فيه ، وليخفف فيهن عوامل تلك الغيرة .

فأدى به عزمه أن ذهب إلى خزانة له يرقى إليها على جذع من نخل وليس بها من فراش إلا حصير جاف خشن ، وحشيّه وهناك لقيمات من شعير يقمن صلبه .. ثم

هو يجلس غلامه رباحا على سدتها دفعا للحاجة الزائرين.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى خلوته يتجه بتفكيره إلى ربه ، ويدبر أمر المسلمين فى الجزيرة وفيما وراء الجزيرة، والمسلمون فى هم مقيم مقعد ، وشغلهم الشاغل انقطاع النبى فى خلوته حتى لقد شاع بينهم أنه طلق حفصة بنت عمر بعد أن كان من إفشائها ما وعدت بكتمانه ،أو أنه مطلق نساءه جميعا .

كانوا يهمسون بهذا والحسرة تملأ قلوبهم ولا هم يقض مضاجعهم مثل ما كانوا يحسون به عن هذا الأمر وقد أقام الناس بالمسجد يعبثون بالحصى ويجيلون العيون وهى زائغة لا تستقر على حال من القلق .

وبينما هم كذلك إذا انتفض عمر رضى الله عنه قائما من بينهم فيقصد إلى مقام النبى ويستأذن غلامه رباحا فإذا دخل الغلام إلى سيده رجع إلى عمر ، ووقف فلم يجب،

فيرفع ابن الخطاب صوته بالاستئذان والإلحاح ، فيؤذن له ، فإذا هو بين يدى الرسول ، ثم يجيل بصره فى الحجرة ويبكى ، والنبى يقول له ما يبكيك يا بن الخطاب فيذكر للنبى سبب بكائه [1]فيرده النبى إلى الصواب بقول رفيق كريم ثم قال عمر : يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء؟! إن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وعمر وأبا بكر والمؤمنين أجمعين .

ثم يقبل عمر رضى الله تعالى عنه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيحدثه بحديث يسرى عن نفسه ويضحكه .

فلما آنس عمر منه ذلك ذكر له خبر المسلمين بالمسجد وكلامهم وآلامهم ورجا النبى أن يفضى إليه بالقول الفصل فى أمر نسائه .

---

(١) إذ لم يجد فى الحجرة من أسباب المعيشة حتى أقل القليل.

فـذكـر لـه رسـول الله صـلـى الله عليـه وآلـه وسلم أنـه لـم يطلقهن.

حينئذ نزل عمر إلى المسجد ونـادى بأعلى صوته : إن النبى لم يطلق نساءه فاستبشر الناس ، وسرت إلـى قلوبـهم الطمأنينة واهتزوا هزة الفرح والسرور

وإذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقبل على نسائه تـائبـات بين يديه عـابدات حـتـى نزل الروح الأمين يحـمل رسالة الله الكريم :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ

وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ
نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ
قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ
رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ
مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ
وَأَبْكَارًا ﴾.

خاتمة الكتاب

القارئ الكريم ..

هذه بعض المعلومات بين يدى الكتاب قد رجونا فيها فائدة زائدة وخيرا كثيرا أحببنا أن يشاركنا إخواننا فى الله لقراءتها ولم نضعها أثناء عرض الكتاب لئلا نقحم عليه مما ليس فيه ..

وأيضا لم نضعها هوامش وذيولا للصحائف لكبرها نسبيا ..

والله يوفقنا ويوفقك من الاستفادة مما سبق ومما يلحق.

ملحق رقم (١) [ولنبدأ بما هو خير]

هذا ما ذكرته الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية..

• إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ٨ هـ •

قال ابن عبد البر ويشير إلى نفسه باسم أبى عمر :

إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولدته أمه مارية فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وذكر الزبير عن أشياخه أن أم إبراهيم مارية ولدته بالعالية فى المال الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم بالقُفّ (القف : علم لواد من أودية المدينة، عليه مال لأهلها) وكانت قابلتها سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم امرأة أبى رافع ، فبشَّر أبو رافع به النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوهب له عبداً فلما كان يوم سابعة عقّ (العقيقة : الدبيحة التى تُذبح عن المولود) عنه بكبش ، وحلق رأسه ، حلقه أبو هند ، وسماه

يومئذ ، وتصدَّق بوزن شعره ورقًا (الورق : الفضة) على المساكين ، وأخذوا شعره فدفنوه فى الأرض ، هكذا قال الزبير : سماه يوم سابعة ، والحديث المرفوع أصحُّ من قوله وأولى إن شاء الله عز وجل .

حدثنا سعيد بن نصر ، قال : حدثنا قسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضّاح ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا شبابة بن سوّار ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وُلِد لى الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم » قال الزبير: ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف.

قال أبو عمر رضى الله عنه فى حديث أنس : تصديق ما ذكره الزبير أنه دفعه إلى أم سيف، قال أنس فى حديثه فى موت إبراهيم قال : فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وانطلقت معه ، فصادفنا أبا سيف ينفخ فى كيره

، وقد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهيت إلى أبي سيف ، فقلت : يا أبا سيف ، أمسك ، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمسك فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبي فضمّه إليه ، وقال : ما شاء الله أن يقول ، قال : فلقد رأيته يكيد بنفسه (أي يجود بها)قال : فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تدمع العين ، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون .

قال الزبير أيضا : وتنافست الأنصار في من يرضعه وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعة من الضأن ترعى بالقف ، ولقاح بذي الجدر تروح عليها ، فكانت تؤتى بلبنها كلّ ليلة فتشرب منه وتسقي ابنها ، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس ، فكلمت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أن ترضعه بلبن ابنها فى بنى مازن بن النجار وترجع به إلى أمه ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم بردة قطعة من نخل فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زَمعة ، وتوفى إبراهيم فى بنى مازن عند أمِّ بردة ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ثمان ، وقيل : بل وُلد فى ذى الحجة سنة ثمان ، وتوفى سنة عشر ، وغسلته أم بردة، وحُمل من بيتها على سرير صغير ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبقيع ، وقال : ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون .

وقال الواقدى: توفى إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من ربيع الأول سنة عشرة ، ودفن بالبقيع ، وكانت وفاته فى بنى مازن عند أم بردة بنت المنذر من بنى النجار ، ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، وكذلك قال مصعب الزبيرى ، وهو الذى ذكره الزبير.

وقال آخرون : توفي وهو ابن ستة عشر شهراً ، قال محمد بن عبد الله بن مؤمل المخزومي في تاريخه ، ثم دخلت سنة عشر، ففيها توفي إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكسفت الشمس يومئذ على اثنتي عشرة ساعة من النهار، وتوفي وهو ابن ستة عشر شهراً وستة أيام، وذلك سنة عشر. وأرفع ما فيه ما ذكره محمد بن إسحاق قال : حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: توفي إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهراً.

قال أبو عمر : ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى على ابنه إبراهيم دون رفع صوت ، وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ..

حدثنا خلف بن قاسم ، حدثنا الحسن بن رشيق ، حدثنا أبو بشر الدولابي حدثنا إبراهيم بن يعقوب البغدادي ،

حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا ابن أبى ليلى عن عطاء عن جابر قال : أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأتى به النخل ، فإذا ابنه إبراهيم فى حجر أمه ، وهو يكيد بنفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجره ، ثم قال : يا إبراهيم : إنا لا نغنى عنك من الله شيئًا ، ثم ذرفت عيناه ، ثم قال : يا إبراهيم ، لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنًا عليك حُزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب .

وحدثنا خلف بن قاسم ، قال : حدثنا الحسن حدثنا أبو بشر حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : لقد رأيت إبراهيم وهو يكيد بنفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم فقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، قال النووى : ودفن فى البقيع وقبره مشهور .

ووافق موته كسوف الشمس ، فقال قوم : إن الشمس انكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله عز وجل والصلاة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم حين توفى ابنه إبراهيم : إن له مرضعاً فى الجنة تتم رضاعه .

حدثنا سعيد، حدثنا قاسم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا وكيع عن شعبة، عن عدى بن ثابت قال : سمعت البراء بن عازب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مات إبراهيم : إن له مرضعات فى الجنة ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبّر أربعاً ، هذا قول جمهور أهل العلم ، وهو الصحيح ، وكذلك قال الشعبى، قال:

مات إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ستة عشر شهرًا ، فصلى عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفن ابنه إبراهيذم ولم يُصَلِّ عليه ، وهذا غير صحيح ، والله أعلم .. لأنَّ الجمهور قد أجمعوا على الصلاة على الأطفال إذا استهلوا (أى تحقق حياته بعد وضعه) وراثة وعملا مستفيضًا، عن السلف والخلف ، ولا أعلم أحدًا جاء عنه غير هذا إلا عن سمرة بن جندب ، والله أعلم .

وقد يتحمل أن يكون معنى حديث عائشة أنه لم يُصَلِّ عليه فى جماعة أو أمر أصحابه فصلوا عليه ولم يحضرهم فلا يكون مخالفًا لما عليه العلماء فى ذلك ، وهو أولى ما حمل عليه حديثها ذلك ، والله أعلم ..

وقد قيل إن الفضل بن العباس غَسَّل إبراهيم ونزل فى

قبره هو وأسامة بن زيد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس على شفير القبر ، قال الزبير : ورُشَّ قبره ، وأُعلم فيه بعلامة ، قال : وهو أول قبر رُشَّ عليه الماء، وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لو عاش إبراهيم لأعتقت أخوالَه ، ولوضعت الجزية عن كل قبطى.

كما سبق وأن ذكرنا ولكن فى الإعادة إفادة ..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراَ فإن لهم ذمة ورحمًا » وكانت مارية القبطية قد أهداها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر هى وأختها سيرين ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيرين لحسان بن ثابت الشاعر ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

حدثنا خلف بن قاسم ، حدثنا يعقوب بن المبارك أبو يوسف ، قال : حدثنا داود بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد

الله بن عمر ، قال حدثنا عمرو بن محمد ، قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمدانى عن السدى، قال : سألت أنس بن مالك: كم كان بلغ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : قد كان ملأ مهده ، ولو بقى لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى، لأن نبيكم آخر الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

حدثنا خلف بن قاسم ، حدثنا الحسن بن رشيق ، حدثنا أبو بشر الدولابى، قال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، قال : حدثنا أحمد بن جناب ، قال : حدثنا عيسى بن يونس عن ابن أبى خالد قال : قلت لابن أبى أوفى : أرأيت إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : مات وهو صغير، ولو قُدِّرَ أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبى لعاش ، ولكنه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو عمر : لا أدرى ما هذا ؟ وقد وَلَدَ نوح عليه السلام من ليس نبيّاً ، وكما يلد غير النبى نبيّاً فكذلك يجوز أن يلد النبى غير نبى ، والله أعلم ، ولو لم يلد النبى إلا نبيّاً

لكان كلٌّ واحد نبيّاً : لأنه من ولد نوح عليه السلام ، وذا آدم نبى مكلم ، وما أعلم فى ولده لصلبه نبيّاً غير شيث .

وقـال الإمـام النـووى : وأمـا مـا روى عـن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيّاً فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلات.

حدثنا خلف بن قاسم ، قال حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أحمد ، قال حدثنا زكريا بن يحيى السجزى قال: حدثنا عمرو بن على ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عز وجل : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ قال : بمحمد وأصحابه رضى الله عنهم.(والله أعلم)

ملحق رقم (٢)

يذكر ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب فى معرفة الأصحاب عن السيدة مارية القبطية تحت رقم (٣٥٢٥)..

مارية القبطية مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم ولده إبراهيم ، وهى مارية بنت شمعون ، أهداها له المقوقس القبطى صاحب الإسكندرية ومصر ، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مأبور ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيرين لحسان بن ثابت ، وهى أُمّ عبد الرّحمن بن حسّان..

حدّثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدّثنا قاسم بن أصبغ ، حدّثنا أحمد بن زهير، حدّثنا أبى ويحيى بن معين، قالا: حدّثنا عفان ، حدّثنا حماد بن سَلمة، أخبرنا ثابت ، عن أنس ـ أنّ رجلا كان يُتهم بأم إبراهيم أم ولد رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ، فقال لعلى : اذْهَبّ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ» ، فأتاه علىّ رضى الله تعالى عنه ، فإذا هو فى ركى يتبرّد فيها ، فقال له علىّ : اخرج ، فناوله يده ، فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر ، فكفّ علىّ عنه ، ثم أتَى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله، إنه لمجبوب .

وروى الأعمش هذا الحديث فقال فيه . قال علىّ: يا رسول الله، أكون كالسّكة المحماة أو الشّاهد يرى ما لا يرى الغائب . فقال : « بل الشّاهِدُ يَرَى مَا لاَ يَرَى الغَائِبُ » .

قال أبو عمر : هذا الرّجل المتهم كان ابْنَ عم مارية القبطِيّة ، أهداه معها المقوقس ، وذلك موجود فى حديث سليمان بن أرقم ، عن الزّهرى ، عن عروة ، عن عائشة وأظنُّه الخصى المأبور المذكور ، من حينئذ عُرف أنه خصى والله أعلم .

وتُوفيت مارية فى خلافة عمر بن الخطّاب، وذلك فى

المحرم من سنة ست عشرة ، وكان عمر يحشر النّاس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلّى عليها عمر ، ودُفنت بالبَقِيع ، وقد ذَكَرْنا خبر ابنها إبراهيم فى أول هذا الدّيوان مستوعباً ، والحمد لله .

روى من حديث ابن عبّاس عن النّبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما ولدت مارية القبطيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنه إبراهيم قال صلى الله عليه وآله وسلم: « اعْتَقَها وَلَدُهَا » ، وإسنادُه لا تقوم به حجّة لضعفه .

ملحق رقم (٣)

السيدة سيرين أخت السيدة مارية..

يقول ابن حجر فى كتابه الإصابة فى تمييز الصحابة تحت رقم (١١٣٦٠) سيرين ، أم ولد حسان بن ثابت .

ذكر إسماعيل بن أبى أويس بأسانيد فى طرق حديث الإفك مِنْ طريق عروة ، ومن طريق عمرة وغيرهما ، عن عائشة فى قصة الإفكِ : وقعد صفوان بن المعطل لحسان ابن ثابت بالسيف فضربه ضربة ، فقال صفوان لحسان حين ضربه :

تلقَّ ذُبَابَ السيف منى فإننى
غلام إذا هُوجيت لستُ بشاعر

فصاح حسان ، واستغاث الناس ، ففرَّ صفوان ، وجاء حسان فاستعدى على صَفْوَان ، فسأله النبىُّ صلى الله عليه

وآله وسلم أن يهبَ له ضربةَ صفوان ، فوهبها له ، فعاضه منها حائطا من نَخْل وجارية قبطية تدعى سيرين ، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن .

وفى حديث بشر بن مهاجر ، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه : أهدى أمير القبط لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاريتين أختين ؛ فأما إحداهما فتسرَّاها فولدت له إبراهيم وأما الأخرى فأعطاها حسان بن ثابت .

وروى عبد الرحمن بن حسان عن أمه سيرين؛ قالت : لما احتضر إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كنْتُ كلما صِحْتُ أنا وأختى نهانا عن الصياح .. الحديث .

ملحق رقم (٤)

وما دمنا قد ذكرنا السيدة مارية فلنذكر باقى حبيبات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واللاتى عاشرهن معاشرة الأزواج وبعض الأخريات

أمهات المؤمنين الطيبات :

١) السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها.

٢) السيدة سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها.

٣) السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها.

٤) السيدة حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنها.

٥) السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله تعالى عنها.

٦) السيدة أم سلمة رضى الله تعالى عنها.

٧) السيدة زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها.

٨) السيدة جويرية رضى الله تعالى عنها.

٩) السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنها.

١٠) السيدة صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها.

١١) السيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله تعالى عنها.

اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن :

١ـ الواهبة نفسها له عليه الصلاة والسلام.

٢ـ خولة بنت الهذيل بن هبيرة.

٣ـ عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية.

٤ـ أميمة أو أمامة بنت النعمان بن الجون بن شراحيل.

٥ـ مُليكة بنت كعب الليثية.

٦ـ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية.

٧ـ العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف.

٨ ـ قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس الكندى.

٩ـ سبأ بنت أبى الصلت السلمية .

١٠ـ شراف بنت خليفة الكلبية أخت دِحية.

١١ـ ليلى بنت الخطيم.

١٢ـ امرأة من غفار.

اللاتى فارقهن صلى الله عليه وآله وسلم

اللاتى خطبهن صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعقد عليهن

١) امرأة من بنى عمرو بن عوف .

٢) امرأة قرشية يقال لها سودة .

٣) صفية بنت بشامة.

٤) أم هانئ بنت أبى طالب.

٦) الجندعية ابنة جنوب.

٧) ضباعة بنت عامر بن قرط.

٨) نعامة ـ لم يذكر اسم أبيها ـ.

من ردهما لمانع شرعي

١ـ أمامة وقيل فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

٢ـ عزة بنت أبى سفيان بن حرب .

سراري رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم غير مارية

١) ريحانة بنت شمعون من سبى بنى قريظة .

٢) جميلة أصابها أيضا من السبى.

٣) نفيسة وهبتها له السيدة زينب بنت جحش.

والله أعلـــم



صدر حديثاً للمؤلف:

١ ـ مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب .
٢ ـ مكة المكرمة معالمها وفضائلها .
٣ ـ الدر المنثور بآثار المصطفى ومدينة الرسو
٤ ـ الوفاء بأخبار طيبة والمصطفى .
٥ ـ من دعوة الحق فى المأمورات والمنهيا
٦ ـ العمامة فى الإسلام .
٧ ـ السيدة خديجة بنت خويلد
٨ ـ السيدة مارية القبطية .
٩ ـ لقد كان فى قصصهم عبرة .